محمد بن سلاّم

- ١ -

حياته

أبو عبد الله محمد بن سلاّم (١) بن عُبيد الله بن سالم (٢) الجمحي (٣) . يكتفي أكثر المؤلفين بنسبة الجمحي (٤) ، ومنهم من يزيد بعدها : مولى أو مولى لهم أو مولى قدامة بن مظعون الجمحي (٥) .

---

(١) كل المصادر ، ومنها مايقف عند اسم الأب : ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ اللغوي ٦٧ ، ابن النديم ١٧١ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٤ .
نص على تشديد اللام من سلاّم ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن منظور والزّبيدي في (سلم) .

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ ، الزُبيدي ١٩٧ ، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، ابن الأثير ـ لباب ١ : ٢٣٦ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ (= ٣ : ٥٦٧ ط البابي) البغدادي ـ ايضاح ٢ : ٨ .
وردت « عبيد الله » على « عبد الله » في ابن الانباري ط . مصر ٢١٦ ، ط. بغداد ١٠٩ ؛ ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ـ وهو من التصحيف . ولم يذكر الذهبي ـ ميزان والعسقلاني سالماً ؛ وورد « سالم » على « سلام » لدى ابن تغري بردي ـ وهو وهم .

(٣) ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ ؛ اللغوي ٦٧ ، ٦ ، ٢٨ ، ٥٨ ؛ المرزباني ٢٠٧ أ ابن النديم ١٧١ ؛ السمعاني ١٣٤ ب ؛ ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، لباب ١ : ٢٣٦ ؛ ياقوت ١٧ : ٢٠٤ ؛ الصفدي ٣ : ١١٤ ؛ العسقلاني ٥ : ١٨٢ .

(٤) اللغوي ، ابن النديم ، ابن الأثير ، القفطي ، الذهبي ـ الميزان .

(٥) الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٦ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجمح من قريش (١) وقدامة صحابي من المهاجرين الأولين استعمله ابن الخطاب على البحرين ، ثم جلده لما قامت عليه الشهادة بشربه الخمر . توفي ـ وهو في الثامنة والستين ـ عام ست وثلاثين للهجرة (٢) .

وواضح من سياق هذا التاريخ أن مولى قدامة هو سالم جدّ سلاّم ، ولا يمكن أن يكون محمداً نفسه كما فهم عدد غير قليل من المؤلفين والباحثين المحدثين (٣) ، وكما يتبادر إلى ذهن من لم يستحضر وقائع التاريخ ولم يعلم أن محمد بن سلاّم معاصر لحفيد قدامة بن مظعون (٤) وأنه ولد بعد وفاة قدامة بأكثر من قرن .

---

(١) ينظر الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ ، ابن حزم ١٥٠ ، ابن الأثير ـ لباب ١ : ٢٣٦ ، القلقشندي ٢١٨ ، العسقلاني ـ الإصابة ٣ : ٢١٩ . والنسب ـ بدقة ـ : بنو جمح : بطن من هصيص من قريش من العدنانية ، وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص .

(٢) ينظر ابن سعد ٣ : ٤٠١ ، الزبيري ٢٨٦ ، ابن دريد ١١٧ (و ٢١٨) ابن حزم ١٥٢ ، السيرافي ١٣ ، ابن خلدون ٢ : ٩٥٧ ، ١٠٥٥ ، الفيروزابادي (قدم) ، الذهبي ـ سير ١ : ١١٦ (ويذكر أنه شرب الخمر يتأول ، مستدلاً بقوله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناح فيما طعموا ..) .

(٣) درج أكثر الباحثين على القول : « محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم مولى قدامة بن مظعون ، وهم يقصدون الى أن محمداً هو مولى قدامة ، ولم يحاول أيٌ منهم تحقيق المسألة ، ومنهم من نص على أن محمداً مولى قدامة مثل البستاني ـ دائرة ٣ : ١٩٥ ، وقالت مجلة الأزهر : « .. وولاؤه لقدامة بن مظعون الجمحي » . وورد في الزُبيدي ١٩٧ : « محمد بن سلاّم بن عبد الله بن سالم الجمحي مولى محمد بن زياد مولى قدامة .

(٤) ابن سلام ٥٣ : « أخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى » ، ٢٠٩ : « أخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة ابن مظعون الجمحي ... » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان المرزباني أكثر المؤرخين ـ فيمن رأينا ـ دقة إذ قال . « أبو عبد الله البصرى محمد ابن سلاّم وهو سلاّم بن عبيد الله بن سالم مولى عثمان بن مظعون الجمحي (٢) » .

إن كلمة « مولى » زالت على مر الزمن ، ولم تعد تذكر إلى جوار محمد بن سلاّم حتى لكأنه جمحي صلبية ؛ وقد يفهم أنه عربي من سياق خبر أورده أبو الطيب اللغوى (المتوفى عام ٣٥١) وقد يتحدث عن دواعي تأليفه كتاب « مراتب النحويين » ويبين جهل الناس وتخليطهم : « حتى يظن قوم أن القاسم بن سلام البغدادي ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات أخَوان ! ولقد رأيت نسخة من كتاب « الغريب المصنّف » على ترجمته : تأليف أبي عبيد القاسم بن سلاّم الجمحي ، وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي ؛ وإنما الجمحي محمد ، مؤلف كتاب « طبقات الشعراء » (٣) .

---

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ .

(٣) اللغوي ٦ .

ويبدو أن هذا الوهم بقي على الزمن ، فقد ورد في سماع (من القرن السادس) في آخر النسخة الدمشقية لكتاب الأموال ص ٦١٥ ـ ٦١٦ : « سمع جميع كتاب الأموال على الجهة الكاتبة فخر النساء شهدة .. بحق سماعها عن أبي الفوارس طراد ابن محمد بن علي الزينبي على ابن البادي عن أبي حامد الهروي عن علي بن عبد العزيز البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم الجمحي : الشيوخ أبو الفضل يحي ... وكان الفراغ منه في شعبان سنة ٥٦٧ » .

وأبو عبيد القاسم بن سلام : طلب العلم وسمع الحديث ودرس الأدب ونظر في الفقه وألف كثيراً . ومن كتبه « الغريب المصنف » و « غريب الحديث » و « غريب القرآن » ... والأموال ـ أبوه رومي من أهل هراة .

كان القاسم معاصراً لمحمد بن سلام ، فقد توفي بمكة سنة ٢٢٢ (وقيل ٢٣ وقيل ٢٤) في خلافة المعتصم . ـــ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولنا أن نتصور أن جدّ محمد (أو جد سلاّم) قد أقام في البصرة مبكراً ، أيام قدامة بن مظعون (١) أو بعد « هجره عمر مغاضباً » ؛ وأن محمداً وُلد في البصرة ، ولطالما لقّب بالبصري (٢) . ولا يتكون النسب بسهولة ومن دون صلة متينة .

أما تاريخ هذه الولادة فلم ينص عليه من ترجموا له ؛ ويمكن أن يُقرّب بعام أربعين ومئة للهجرة (٣) .

— كانت المصادر القديمة قلما تقول : ابن سلا م ، وانما تخصص فتقول : « محمد بن سلام » و « القاسم بن سلام » ، ولا بد من أن يكون السبب في ذلك دفع اللبس . ينظر عن القاسم : اللغوي ٩٣ ، الزبيدي ١٣٨ ، ابن الأنباري ٩٣ ، ياقوت ١٦ : ٢٥٤، الخطيب ١٢ : ٤٠٣ ، ابن خلكان ٣ : ٢٢٥ ... زيدان ٢ : ١١٧ . وفي مقدمة كتابه « الأموال » ترجمة له منقولة عن الذهبي في تاريخ دول الإسلام وله بين مخطوطات مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة : الغريب المصنف ويقع في ٢١٨ ورقة وغريب الحديث ويقع في ١٢٠ ورقة .

(١) لقدامة بن مظعون إقامة في البصرة ، ينظر السيرافي ١٣ .

(٢) المرزباني ٢٠٧ أ ، الخطيب ٥ : ٣٢٧ ، السمعاني ١٣٤ ب ، ابن الأنباري ١٠٩ ، ابن أبي حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ ، ياقوت ١٨ : ٢٠٤ ، ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، القفطي ٢ : ١٤٣ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي — ميزان ٣ : ٦٦ ، ابن تغري بردي ٢ : ٢٦٠ ، العسقلاني ٥ : ١٨٢ ، البغدادي ٢ : ٨ ، ...

(٣) اعتماداً على ما رواه المرزباني ٢٠٧ أ عن الحسين بن فهم من أن ابن سلام قدم بغداد سنة ٢٢٢ ومات سنة ٢٣٢ بعد عشر سنوات ، وما رواه الخطيب عن الحسين نفسه ٥ : ٢٢٩ ، من أن عمر محمد كان آنذاك ٨٢ سنة وأعيدت الرواية لدى السمعاني ١٣٤ ب ، وابن الأنباري ١٠٩ — ١١٠ ، وياقوت ١٨ : ٢٠٤ — ٢٠٥ (دون أن ينص على الخطيب ، ولعله أخذها عن كتاب ابن الأنباري . وذكر ياقوت أن عمر محمد كان اثنتين وسبعين ، ولا بد من أن يُردّ ذلك إلى وهم الناسخين) وممن نقل عن الخطيب ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٣٤ .
ويبدو أن الباحثين يعتمدون هذا الخبر إذ يحدّدون تاريخاً لولادة محمد بن سلام . ونص الأستاذ شاكر جازماً (ص ١١) على أن مولده بالبصرة سنة ١٣٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد تهيأت للناشئ الصغير بيئة صالحة تُعدُّه لمكان مرموق في العلم والأدب ؛ فقد كان أبوه « سلاّم » ذا حظ في العلم والأدب وعلى صلة وثيقة بعلماء عصره وأدبائهم (١) . وربما كان مَن سواه من أفراد أسرته مثله (٢) ؛ وربما كان هذا الأب يطمح إلى أن يرى من ولده من يحتل منزلة بارزة ، وأنه كان يعمل على أن يهيئ له من الفرص ما لم يتهيأ له ؛ فليس عبثاً أن ينصرف ابنه عبد الرحمن إلى الحديث (٦) وأن ينصرف ابنه الآخر (محمد) إلى الحديث وغيره .

وكانت البصرة (٣) آنذاك مدينة علم وأدب وفكر تضم أعلاماً كباراً في كل فن ، وكان للرواية نصيب موفور ونهضة جبارة ، ولا غرو ، فقد كان هذا الفن العجيب في إبّانه ، وقد حل البلدة ـ وهي القريبة من البادية ـ عـــدد من الفصحاء ، وقام فيها « المِرْبَد » ، ونشأ مَنْ مهّد الطريق لأكابر الرواة ؛ ولم يكن عبثاً أن تتفتح عينا الناشئ الصغير محمد ابن سلاّم فتريا شيخاً جليلاً يملأ الأسماع والأبصار ويلهج بذكره كل لسان ، ذلكم أبو عمرو بن العلاء (٤) .

---

(١) ابن سلام ١٣ ، ١٤ ، ٢١٤ ، ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٨ ، ٥٥١ ، ٥٧٨ ، ٥٩٢ .

(٢) كان الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي زوجَ بنت سلاّم ، وقد أنجبا الفضل (أبا خليفة الجمحي) .

(٣) ينظر بلاّت ، العلي ، الحاجري ، زكي .

(٤) أبو عمرو بن العلاء (وقيل زبان بن العلاء) . . التيمي المازني . قال عنه ابن الأنباري ص ١٥ : « العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية وكان من الشأن بمكان .. أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري والخليل بن أحمد وأبو محمد علي بن المبارك اليزيدي . وكان يونس بن حبيب يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول عمرو بن العلاء كله في العربية ...

ولد عام ٧٠ (وقيل ٦٨ ، وقيل ٢٦٥ ، وتوفي عام ١٥٤ (وقيل ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٦) .

ينظر عنه السيرافي ، اللغوي ، ابن النديم ، الزُبيدي ، ابن الأنباري ، ياقوت ، ابن خلكان ... دائرة المعارف الإسلامية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولم تكن البصرة بمعزل عن الكوفة ، ولم يكن علم المدينتين بالمفصول ، وقصد حمّاد الراوية البصرة فجاءه خلف الأحمر فسمع منه ، فكان خلف أول من أحدث السّماع في بلده (١) ، ثم قصدها المفضل الضبّي (٢) والكسائي (٣) .

وإذ كانت المدينتان في أوج عزّهما العلمي قامت بغداد وشرعت تجتذب وتجمع وتغري ، وذاع عنها ما لقيه العالم الفلاني والأديب الفلاني لدى هذا الخليفة أو ذاك الوزير من حظوة وجاه ومال .

كانت هذه البيئة تهز نفس الفتى وتدفعه إلى أن يتلقى ويحصل ويصل .... وهكذا كان . وما عليه أكثر من أن يحضر هذه الحلقة أو تلك ، ويسمع على هذا الشيخ أو ذاك ، كما يشاء ، فليس أيسر من سبيل المعرفة . فاذا أحسّ من نفسه ميلاً معيّناً الى فن معيّن استجاب ، وإذا لمس فيها إعجاباً بأستاذ معيّن لزم ذلك الأستاذ قدر ما يريد وأفاد منه قدر ما يستطيع .

ولا بد من أنه كان يصحب أباه مبكراً ، ولا بد من أنه بدأ يتلقى العلم مذ نعومة الأظفار ، فانه بعد أن بدأ ما يجب أن يبدأ به من القراءة والكتابة وألمّ بما يلزم أن يُلم به من أصول النحـــو مال إلى الحديث ـ أو طُلب إليه أن يتجه وجهته ـ ولكنه ـ كما يبدو ـ لم يجد في الحديث « ضالته » ، ولم يرد أن يقصر عليه عمره فأكبّ على الأدب والأخبار واللغة والنحو ، وعُني ـ أكثر ما عُني ـ برواية الشعر .

---

(١) ابن الأنباري ٣٧ ، ياقوت ١١ : ٧٦ .

(٢) ابن سلام ٢١ . « كان من أكابر الكوفيين وأخذ عنه أبو زيد الأنصاري من البصريين لثقته ـ ابن الأنباري ٣٥ » . توفي سنة ١٦٨ .

(٣) السيرافي ٤٤ ، الزجاجي ٢١ ، وفي ابن الأنباري ٤٣ : « .. خرج إلى البصرة ولقي الخليل بن أحمد وجلس في حلقته ... ومات الخليل وجلس في موضعه يونس .. فجرت بينهما مسائل أقرّ له يونس فيها وصدّره في موضعه » . توفي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي سنة ١٨٢ ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا كان مشايخه كثيرين ، وكان أن روى عن « جم غفير » ـ وإن كنّا لا نعد كل من روى عنه شيخاً من شيوخه [١] لأن ذلك يخرج بنا عن طبيعة الأشياء ويوقعنا فيما لا عدّ له ولا حصر . وليس غريباً ـ بعد ذلك ـ أن يكون كبار شيوخ محمد بن سلاّم كبار شيوخ البصرة . وهم : حماد بن سلمة ، ويونس بن حبيب ، وخلف الأحمر (أبو مُحرِز خلف ابن حيّان) ، وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنى ، والأصمعي (عبد الملك بن قُرَيْب) ، وأبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس) [٢] .

كان حماد بن سلمة شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه ، وكان فصيحاً مفوّهاً ... [٧] أخذ عنه يونس .

وهو أول من تذكره المصادر من شيوخ محمد بن سلام في الحديث . وقد توفي عام ١٦٧ هـ (وقيل ١٦٩) وابن سلاّم في حدود السابعة والعشرين ؛ ولكنه مذ هذه السن « ابيضّت لحيته ورأسه » [٤] .

ويونس أكثر الشيوخ أثراً في ابن سلاّم وهو « من أكابر النحويين البصريين » [٥] و « إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات » [٦] . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة وغيرهما

---

(١) كما فعل الأستاذ شاكر ١٢ .

(٢) ترد أكثر أخبارهم لدى : السيرافي ، ابن النديم ، اللغوي ، الزبيدي ، الخطيب ، ابن الأنباري ، ياقوت ، القفطي ، ابن خلكان ، السيوطي ... دائرة المعارف الإسلامية ، زيدان ، الرافعي (٣ : ٣٦٠ ..) ـ وفي تواريخ وفياتهم اختلاف .

(٣) ياقوت ١٠ : ٢٥٤ .

(٤) كما يروي ابن أخته أبو خليفة ، الخطيب ٥ : ٣٢٩ ، العسقلاني ٥ : ١٨٣ وغيرهما .

(٥) ابن الأنباري ٣١ .

(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وقد سمع من العرب كما سمع مَن قبله »(١) وكانت « حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاّب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية »(٢) ووفودهم(٣) . وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها(٤) . وقد روى عنه سيبويه وأكثر ، وسمع منه الكسائي والفرّاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم(٥) .

« وكان .. عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفاً بطبقات شعراء العرب حافظاً لأشعارهم يُرجع إليه في ذلك كله(٦) » .

لم يُر أبذل منه لعلم(٧) . قال أبو عبيدة معمر : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلّ يوم ألواحي من حفظه »(٨) . و « قال أبو زيد الأنصاري النحوي : جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة »(٩) .

ومن تصانيفه : معاني القرآن الكبير ، معاني القرآن الصغير ، كتاب اللغات ، كتاب الأمثال ، كتاب النوادر(١٠) .

---

(١) السيرافي ٢٧ ، ابن الأنباري ٣١ ، ياقوت ٢٠ : ٦٤ .
(٢) السيرافي ٢٧ ، ابن الأنباري ٣٢ ، ياقوت ٢٠ : ٦٤
(٣) ابن النديم ٦٩ .
(٤) السيرافي ٢٧ ، ابن الأنباري ٣١ ، ياقوت ٢٠ : ٦٤ .
(٥) السيرافي ، ابن النديم ، ابن الأنباري ، ياقوت .
(٦) ياقوت ٢٠ : ٦٥ .
(٧) ابن سلام (عن أبي زيد) في الزبيدي ٤٨ .
(٨) اللغوي ٢١ ، ياقوت ٢٠ : ٦٥ ، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢ .
(٩) ياقوت ٢٠ : ٦٥ ، ابن خلكان ٦ : ٢٤٢ .
(١٠) ينظر ابن النديم ٦٩ ، ياقوت ٢٠ : ٦٧ ، ابن خلكان ٦ : ٢٤٦ .
جاء لدى ابن النديم : النوادر الكبير والنوادر الصغير ، وورد لدى ابن خلكان : معاني القرآن الكريم ـ وصحيحه الكبير .
ولم تصل الينا كتب يونس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

روى عنه محمد بن سلاّم الكثير ، وعن طريقه اتصل بعلم أبي عمرو ابن العلاء ، وقد دل في رواياته عنه على قربه منه . ولا غرو فقد كان أبوه قريباً منه يمهد السبيل إليه على ابنه (١) ، وكان الفتى يجد عند أستاذه ضالّته فكانت صلته به صلة ملازمة واختصاص فكان يشهد مجالسه ، وكان يونس نفسه يزوره (٢) .

وقد طالت الملازمة واتصلت ؛ فقد تُوفي يونس سنة اثنتين وثمانين ومئة وقد قارب المئة أو تعداها ـ وكان محمد بن سلام قد جاوز الأربعين من عمره .

كان محمد بن سلام من أصغر تلاميذ يونس سناً ، فأفاد من هؤلاء التلاميذ في حياة شيخه ، وتلمذ لهم بعد وفاته ـ وفي تلاميذ يونس من فيهم .

و خلف الأحمر « أعلم الناس بالشعر » (٣) . وهو معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة (٤) . قال ابن سلاّم : « أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدق لساناً . كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه » (٥) توفي عام ١٨٠ هـ (وقيل ١٨٩ ..)

و أبو عبيدة « كان أجمع الناس للعلم ، وأعلمهم بأيام العرب وأخبارها » (٦) . قال عنه الجاحظ : « لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة » (٧) . توفي عام ٢٠٩ هـ (وقيل ٢٠٨ ... ، ٢١٣) .

---

(١) ابن سلام ١٤ .
(٢) الزبيدي ٥٠ .
(٣) اللغوي ٤٦ .
(٤) ياقوت ١١ : ٧٦ .
(٥) ينظر ابن سلام ٢١ .
(٦) ينظر اللغوي ٤٤ : « .. ومع ذلك فانه ربما أنشد البيت فلم يُقم وزنه حتى يكسره ويُخطىء إذا قرأ القرآن نظراً .. » ؛ ٤٥ : « وكان يميل إلى مذهب الاباضية من الخوارج وكان يبغض العرب » .
(٧) ابن الأنباري ٦٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

و الأصمعي « صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح »(١) . قال الأخفش : « لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي »(٢) ، وقد « تعلم نقد الشعر من خلف الأحمر »(٣) .

توفي عام ٢١٤ هـ (وقيل ٢١٥ ..)

وأبو زيد « صاحب العربية في البصرة » « أخذ عنه أكابر الناس »(٤) . وكان يروي عن علماء الكوفة ، ولا يُعلم أحدٌ من علماء البصريين بالنحو أخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد ، فانه روى عن المفضل الضبّي »(٥) .

كانت حلقته ينتابها الناس وكان كثير السماع من العـــرب .

توفي عام ٢١٥ هـ .

وهكذا أفاد محمد بن سلاّم من خيرة علماء عصره وفي شتى مناحي معرفتهم ومختلف مجالسهم ومناظراتهم ومناقشاتهم . يلزم هذا ، ويحضر حلقة ذاك ، ولا تفوته الفوائت ؛ وتهيأ له ـ بذلك ـ أن يروي عن خلق كثير ، وأن ترد في أخباره أسماء أعلام عديدة ، لم نخص بالذكر منهم إلا الأهم في حياته ، وإلاّ فهناك الآخرون والآخرون ، وحسبك أن تعلم من هؤلاء الآخرين : الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وسيبويه ؛ وانه أفاد من علمـاء الكوفة الذين وردوا البصرة وحسبنا أن نذكر منهم المفضل الضبّي والكسائي .

---

(١) ابن الأنباري ٧٤ .
(٢) ياقوت ١١ : ٦٧ .
(٣) اللغوي ٤٦ .
(٤) اللغوي ٤٢ .
(٥) ابن الأنباري ٨٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا بد من أنه أفاد من أعراب كانوا يفدون إلى البصرة أو يلتقون في المربد. ومن تكررت روايته عنه على وجه يلفت النظر: « أبو الغراف »[١]،

بلغ محمد بن سلاّم منزلة الشيوخ وروى عنه كثيرون في شتى مجالي المعرفة، وبين هذا الكثير من كان تلميذاً أو بمنزلة التلميذ، وأشد هؤلاء صلة به ونقلاً عنه وحفظاً لآثاره ابن أخته أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجمحي.

وقال أبو الطيب اللغوي: « روى عنه ـ أي عن ابن سلام ـ أبوحاتم والرياشي والمازني والزيادي وأكابر الناس »[٢]. وهؤلاء من معدودي علماء البصرة. وأبو حاتم هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني؛ والرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفَرَج؛ والمازني هو أبو عثمان بكر بن محمد؛ والزيادي هو إسحاق بن سفيان[٣].

ولم يقف تلاميذ ابن سلاّم والرواة عنه عند حدود البصرة فلقد كان له تلاميذ في بغداد، لأنه عاش في هذه المدينة عدداً من السنين (أخريات أيامه).

---

(١) لانعرف عن « أبي الغراف » شيئاً يذكر. جاء في المرزباني ـ معجم ـ عمرو: أبو الغراف السلمي عمرو بن مرثد، شاعر معروف سندي، وهو القائل يرد على ربيعة الرقي قوله يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ويهجو يزيد بن أسيد (السلمي):

لشتان مابين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

وهي أبيات. فهجا أبو الغراف ربيعة واليمن. ينظر ابن الجراح ٤٥، ٤٦، ابن سلام بدلالة فهرس أعلامه.

(٢) اللغوي ٦٧.

(٣) وردت أكثر أخبارهم لدى السيرافي، ابن النديم، اللغوي، الزبيدي، ابن الأنباري، القفطي، ياقوت..

وفياتهم متقاربة، في حدود الـ ٢٥٠: أبو حاتم ٢٤٨ (وقيل ٢٥٤، ٢٥٥) المرياقي قتله الزنج عام ٢٥٧، المازني ٢٥٥ (وقيل ٢٤٧)، الزيادي ٢٤٩.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كان لا بد له من قصد بغداد ـ ملتقى كبار العلماء ومقر الأجلاّء ـ فألم بها (١) وحدثته نفسه باطالة الإقامة فيها ولكن عوائق حالت دون ذلك ولم تتحقق رغبته إلاّ سنة اثنتين وعشرين ومائتين ـ وهو في الثانية والثمانين فسكنها وحضر مجالسها ، وعقد فيها مجالسه ، فلقد كان شيخاً وله جلالة ومهابة في نفوس الناس من الخاصة والعامة والعلماء والأجلاء (٢) .

مرض محمد بن سلاّم في بغداد ـ وربما كان ذلك منذ وصوله ـ مرضاً شديداً كاد يودي بحياته . وقد روى الحسين بن فهم تفصيل الحال فقال : « قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى إليه الأجلاء أطباءهم . وكان ابن ماسويه ممن أهدي إليه ، فلما جسّه ونظر إليه قال له : ما أرى من العلة كما أرى من الجزع ! فقال : والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة ؛ ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ، ولو وقفت بعرفات وقفة وزرت قبر رسول الله ﷺ زورة وقضيت أشياء في نفسي ، لرأيتَ ما اشتد عليّ من هذا قد سهل . فقال ابن ماسويه : فلا تجزع ، فقد رأيتُ في عرقك من الحرارة الغريزية وقوّتها ما إن سلّمك الله من العوارض بلّغك عشر سنين أخرى » (٣) .

---

(١) ينظر المرزباني ٢٠٧ أ « قال ابن سلام كنت ببغداد فررت بأبي نواس .. »

(٢) ابن حاتم ٢ : ٣ : ٢٧٨ .

(٣) الخطيب ٥ : ٣٢٩ وعنه بنص أو بغير نص : السمعاني ، ابن الأنباري ، ياقوت ، ابن أبي أصيبعة .

وقد روى الخبر المرزباني ٢٠٧ ب ـ ٢٠٨ ا فقال : « قال الحسين بن فهم قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين فاعتل فلم يبق أحد إلا عاده وجاء بطبيب ، فجاء ابن ماسويه فرآه جزعاً فقال له : أكثر مافي علتك جزعك ـــ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والخبر يدل على جلال منزلة محمد بن سلاّم ، وفي ورود اسم ابن ماسويه أكثر من دلالة ، لأن ابن ماسويه طبيب الخلفاء العباسيين منذ أيام هارون الرشيد ، وان الخليفة الواثق كان مشغوفاً به ضنياً »(١) وانه « كان معظّماً ببغداد جليل المقدار »(٢) ، مجلسه « أعمر مجلس .. بمدينة السلام لمتطبب أو متكلم أو متفلسف يجتمع فيه كل صنف من أصناف الأدب »(٣) .

— فقال : ليس ذاك بحرص على الدنيا مع هذه السن ولكني كنت أحب أن أقف بعرفات مرة فأزور قبر رسول الله ﷺ زورة . ولو فعلت ذلك لرأيت ما اشتد علي من هذا قد هان . قال : فلا تجزع فان في عرقك من قوة الحرارة ما ان سلمك الله من العوارض بلغك عمر سنين » .

وليلاحظ أن المعتصم انتقل إلى سرّ من رأى سنة ٢٢١ هـ .

والحسين بن فهم — كما جاء لدى الخطيب ٨ : ٩٢ — ٩٣ : « الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن ابراهيم أبو علي . سمع خلف بن هشام البزار ويحيى بن معين ومصعبا الزبيري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد بن سلام الجمحي وأبا خيثمة ... وكان ثقة عسراً في الرواية متمنعاً إلا لمن أكثر ملازمته كان يسكن الجانب الشرقي ناحية الرصافة .. كان حسن المجلس .. مفتناً في العلوم كثير الحفظ للحديث .. ولأصناف الأخبار والنسب والشعر والمعرفة بالرجال فصيحاً متوسطاً في الفقه ، يميل إلى مذهب العراقيين . . مات في شهر رجب من سنة ٢٨٩ .

وعن الخطيب نقل العسقلاني — ميزان ٢ : ٣٠٨ .

ولا بد أن يكون في تاريخ الولادة الذي ذكره المصدران عن رواية على لسان الحسين نفسه من أنه قال : ولدت في شهر رمضان من سنة ٢٢١ خطأ يرجع إلى الناسخين أو أن يكون قوله : « قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين » يرويه عن آخر وأنه لم يسمع محمد بن سلام — والأول أولى .

(١) ابن أبي أصيبعة . وابن ماسويه هو أبو زكريا يوحنا ، ينظر عنه ابن النديم ، ابن أبي أصيبعة ، القفطي (أخبار الحكماء . .) ... دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) القفطي — الحكماء ٣٨٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٢٤ .

وذكر القفطي المجلس ص ٣٨١ — ٣٨٢ فقال : « كان يعقد مجلساً للنظر ويحضر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتم عمارة ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع إليه أهل العلوم والأدب . وكان يدرّس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد نجا ابن سلام من مرضه ، وعاود طلاّب العلم قصده للإفادة ، وعاود هو حضور المجالس ، وزاد عدد تلاميذه والمستمعين إليه والآخذين عنه ؛ وكان أشدهم به صلة وأكثرهم عنه رواية : أحمد بن يحيى ثعلب .

كان ثعلب شاباً ولكنه نابغة ، وكان يقول : « طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين ، وابتدأت بالنظر في « حدود » الفرّاء وسنّي ثماني عشرة سنة ... »(١) .

روى ثعلب لقاءه محمد بن سلاّم فقال : « أتيتُ محمد بن سلام ، لما قدم من البصرة ، لأقرأ عليه الأشعار والأخبار التي يرويها ، فلما عرّفني برّني وأكرمني ، فقال لي : أسألك عن أبيات ؟ فقلت له : سل . فقال : ما معنى قول الفرزدق :

تكاد آذانها في الماء تقصمها بيضُ اللاغيم أمثال الخواتيم

فقلت : يصف حميراً تشرب ، وأراد الحلقوم والمرئ ويروى : « تقصفها » ، أراد : من شدة جُوعها تضرب فتكاد تنقصف .

... شبّه جوعها بالخواتيم ، وأراد أنها من شدة العطش لما وردت الماء انغمست جحافلها في الماء حتى يكاد الماء يبلغ آذانها .

---

(١) القفطي ١ : ١٣٩ ، وتمام الخبر « ... وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقي عليّ مسألة للفراء إلاّ وأنا أحفظها وأحفظ موضعها من الكتاب ، ولم يبق شيء من كتب الفرّاء في هذا الوقت إلا قد حفظته » ؛ وينظر ياقوت ٥ : ١٠٩ ، ١١٩ ، ١١٥ وفيه : « .. وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره ، فلما أتممته أكببت على الشعر والمعاني » ، وينظر الزبيدي ١٥٥ ، وفيه : « .. وصنف الكتب وله ثلاثة وعشرون سنة » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال : فما تقول في قول علقمة :

سلاءه كعصا النهدي غُلَّ لها ذو فيئة من نوى قُرّان معجوم

قلت : يعني فرساً ، شبّهها بشوك النخلة لإرهاف صدرها وتمام عجزها كذلك خلقة الشوكة .

يقول خلقتها خلقة الشوكة . وهذا يُستحب في الإناث ...

وعصا النهدي : أي كأنها عصا نبع ، لاندماجها وملاستها ، وإنما خص «نهداً» لأن النبع ينبت في بلادها ، فهم أصحاب عصي لا تفارقهم ، فعصيّهم ملس ، فأراد أنها فرس ملساء .

وغُلّ لها ، أي أدخل لها في باطن حافر أو في موضع النسور ، وإنما شبّه النسور بالنوى لأنها صلاب ، وأنها لا تمس الأرض لأن الحافر مقعّب .

وذو فيئة : ذو رجعة ، وهو أن يؤكل النوى ، ثم يُفت البعر فيستخرج النوى فتلمفه الإبل مرة أخرى ، ولا يكون ذلك إلا من صلابته ...

ومعجوم ، أي انه نوى الفم ، وهو أصلب ما يكون . معجوم ، مغضوض .

وقرّان : موضع كثير النخل .

قل : فما تقول في قول جرير :

فلا يَضْغَمَنَّ الليثُ عكلا بغيرة وعُكلٌ يشمون الفريس المنيَّبا

قلت : يقول إن عكلا تخافني أن أهجوهم كما تخاف الغنمُ الأسد ؛ وذلك لأن الأسد إذا أثّر في شاة من الغنم فرّت الغنم إذا شمّت فريسته . والضغم : الأخذ بشدة . حذرهم شعره وهجاءه ؛ فيقول هي تجزع من هجائي إذا هجوت غيرهم فكيف إذا أوقعته بهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال لي : إقرأ ما شئت . وجعل يعجب » (١) .

ويدل هذا المجلس على أمور كثيرة ، منهـــا هدوء الشيخ وتواضعه وأدبه ـ إن شئت ، ولم يكن كمن يريد أن يفرض نفسه بكل سبب ؛ ومنها أنه أنموذج لأساليب امتحان « الكفاءة » الذي يحدد الخطوة التي يخطوها الأستاذ بعده ؛ ومنها نبوغ ثعلب ـ وقد ظهر عالماً ، وجهد أن يبدي كل مكنونه فعل التلميذ « المتفوق » ؛ وإذا كان ثعلب على هذا العلم وسعى لأن يتلمذ على ابن سلام ، ففي ذلك ما يدل على مكانة ابن سلام وشهرته في « الشعر والمعاني » .

كان ثعلب ثقة دينّاً مشهوراً بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية السعر ، مقدّماً بذّ الشيوخ وهو حدث (٢) ؛ لم يتحدث أحد عنه وعن شيوخه إلاّ ذكر محمد بن سلاّم (٣) .

---

(١) الزجاجي ٩٤ .

ومن حواشي محقق الزجـــاجي : ان بيت الفرزدق لم يرد في ديوانه ؛ وبيت علقمة في ديوانه (الوهبية ١٢٩٣) ص ١٣١ والمفضليات (ط . دار المعارف ١٣٦١) ص ٤٠٤ ، وبيت جرير في ديوانه (ط . الصاوي ١٣٥٣) ص ١٤ .

وينظر عن بيت جرير : ثعلب ـ المجالس ٢ : ٥٠ ، ابن سلام ٣١٧ ، ٤٦٩ .

(٢) ابن الأنباري ١٥٨ .

(٣) ولد ثعلب سنة مائتين وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين . وهو أبو العباس أحمد ابن يحيى بن زيد ابن سيّار ـ مولى بني شيبـــان ، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . أخذ عن محمد بن زياد الأعرابي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة ابن عاصم ومحمد بن سلاّم الجمحي والزبير بن بكار وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم وعبيد الله بن عمر القواريري .

وأخذ عنه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش وابن عرفة وابن الأنباري وأبو عمرو الزاهد ، وأبو موسى الحامض وابراهيم الحربي .

من كتبه « معاني الشعر » ، ومما طبع له « الفصيح » و « المجالس » .

ينظر عنه الخطيب ٥ : ٢٤ ـ ٢١٢ ، اللغوي ٩٥ ـ ، الزبيدي ١٥٥ ـ ، ابن الأنباري ١٥٧ ـ ، ياقوت ٥ : ١٠٢ ـ ١٤٦ ، القفطي ١ : ١٣٨ ، ابن خلكان ١ : ٨٤ ـ ٨٧ ... ومقدمة عبد السلام محمد هارون على المجالس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عاش ابن سلاّم بعد مرضه عشر سنين ـ كما قال له ابن ماسويه ـ إذ «وافق كلامه قدراً» «ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين» ـ على رواية المرزباني والخطيب عن الحسين بن فهم ـ أحد تلاميذ ابن سلاّم .

وورد هذا التاريخ في مصادر أخرى (١)، وبين هذه المصادر الأخرى ما ربط بين سنة الوفاة وحادث معروف فقال : «كان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع المتوكل بن المعتصم» (٢) ـ وهذه السنة ثابتة ، هي سنة ٢٣٢ ، بل إن الشهر منها معروف وهو ذو الحجة (٣) ،

وفي رواية أخرى أوردها المرزباني والخطيب ـ كذلك ـ عن عبد الباقي ابن قانع (٤) أن ابن سلاّم توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين (٥). وقد نقلتها عن الخطيب مصادر أخرى ـ كما نقلت عنه الرواية الأولى (٦) ، ووردت وحدها في مصادر أخرى لم تشر إلى المرزباني أو الخطيب بشيء (٧) .

---

(١) ابن الأنباري ١١٠ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ ، القفطي ٢ : ١٤٤ ، الصفدي ٣ : ١١٥ .

(٢) ابن الأنباري ، ياقوت .

(٣) ابن الأثير ، حوادث ٢٣٢ : « توفي الخليفة لست بقين من ذي الحجة » .

(٤) لدى الخطيب ١١ : ٨٨ ـ ٨٩ : ولد سنة ٢٦٥ وتوفي سنة ٣٥١ . سمع الحارث بن أبي أسامة ومحمد بن مسلمة الواسطي وابراهيم بن الهيثم البلدي وأحمد ابن اسحاق الوزان وعلي بن محمد بن أبي الشوارب وعبيد بن شريك البزاز وابراهيم ابن اسحاق بن الحسن . روى عنه الدارقطني والمرزباني .. كان من أهل العلم والدراية والفهم ورأيت عامة شيوخنا يوثقونه ، وقد كان تغير في آخر عمره .

(٥) المرزباني ٢٠٨ أ ، الخطيب ١٠ : ٣٢٩ .

(٦) القفطي ٢ : ١٤٥ ، الصفدي ٣ : ١١٥ ، الذهبي ـ ميزان ٣ : ٦٧ (= ٣ : ٥٦٨) .

(٧) ابن الأثير ٥ : ٢٧٥ ، ابن كثير ١٠ : ٣٠٨ ، الحنبلي ٢ : ٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليس من السهل البت أو ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى ؛ وربما كان عام ٢٣٢ هـ أدق ـ إذا كان لا بد من التمييز .

أما مكان الوفاة فليس في رواية الحسين بن فهم ما يقطع بأنه بغداد ، أما رواية ابن قانع فصريحة في ذلك إذ تقول : « توفي محمد بن سلاّم الجمحي ببغداد »(١) . ولم تشغل المصادر الأخرى نفسها بهذا الموضوع ، وذكر الزبيدي أنه « البصرة »(٢) ـ ولا بد من أن تكون الرواية الأولى أصح .

وخلف محمد بن سلام من الأبناء ـ فيمن خلّف ـ ولداً اسمه « عَوْن » ، روى عن أبيه أشياء (٣) ؛ وترك من العلم والرواية والمؤلفات ثروة جليلة دل عليها القليل الذي وصل إلينا منها .

(يتبع) الدكتور علي جواد الطاهر

(١) للمرزباني ٢٠٨ أ ، وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق أخبرنا محمد بن عمر بن غالب حدثنا موسى بن هارون وأخبرنا السمسار أخبرنا الصفار حدثنا ابن قانع قالا : مات محمد بن سلام في بغداد ... » وممن تبع الخطيب القفطي ٢ : ١٤٥ ، ياقوت ١٧ : ٢٠٥ .

(٢) الزبيدي ١٩٧ ، وفي القفطي ٣ : ١٤٥ « وذكر الزبيدي .. » .

(٣) ابن سلام ٥٤٣ (الأغاني ٤ : ٢٤٦) ، شاكر ١٤ .
وفي الخطيب ٥ : ٣٢٩ : « حدث أبو خليفة الفضل بن الحباب فقال : « سمعته ـ أي سمعت ابن سلام ـ يقول : أفنيت ثلاثة أهلين : تزوجت وأطفلت فماتوا ثم فعلت مثل ذلك فماتوا ، ثم فعلت الثالثة فماتوا . وها أنا ذا في الرابعة ولا أولاد » . ووردت الرواية لدى القفطي ٢ : ١٤٤ : « ... وها أنذا في الرابعة ولي أولاد » وهي أوجه . ولعل مرد الخطأ في رواية الخطيب : الناسخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net